رجوعٌ شاق

زاد التوغلُ البريّ حتى فَصَلَ سكان الشمال عن سكان مدينة غزة، وكنا في ذلك الوقت في مهمةٍ في مدينة غزة، وننتظر فرصةً مناسبةً للعودة إلى شمال غزة، قرَّرنا العودة، ووصلنا منتصف الطريق، فنزلت قذائف الهاون علينا في طريق العودة، فعدنا أدراجنا إلى مكاننا السابق، لم أحزن لأنَّ الله هو الذي يختار الطريق، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل:9]، وهو الذي يُخرج من البيوت ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنفال:5].

في اليوم الذي بعده عُدنا ودخلنا بفضل الله، وأخذنا نبحث عن مكانٍ لنؤوي إليه، فلم نجد متسعاً عند أحد، فذهبنا إلى مكانٍ محروقٍ قد دمَّرته آلياتُ العدو، فنظَّفناه قدر الإمكان، وبتنا فيه ليلتنا، وأصبحنا نُؤمِّن الماء والغذاء من جديد، لم يكن عندنا إلا بعض المعلبات، وشيءٌ من أكُفِّ الطحين.

نحن الآن في منطقةٍ دخلها الجيش ودمَّرها، وعلى بعد 2 كيلو متر تقريباً توجد منطقتنا، ليس فيها أيُّ نسمة، دمَّر العدو كلَّ معالمها، في النهار نذهب إليها، ندخل شوارعها المدمَّرة، لقد وصلتُ حارتنا، فلم أر فيها معلماً ولا علماً، ودخلتُ شارعنا المدمَّر، والله لم أعرف مكان منزلي إلا بعد أن قال لي أخي: ارجع إلى هنا عشر خطوات، تمام... هنا كان منزلك. الحمد لله على كل حال، أبدِلْني يا ربِّ بيتاً في الفردوس، متأسياً بالصالحين والصالحات: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾، لقد طُلب في هذا الدعاء الجار قبل الدار.